

سورة الذاريات
مكية كلها بإجماعهم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

{وَالذَّرِيَّتِ دَرُورًا * وَالْحَمِلَتِ وَقْرًا * فَلَجَرِيَّتِ يُسْرًا * فَلَمُقَسَّمَتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَدِيقٍ *
وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أْفَكًا * قُتِلَ
لِحَرْصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ *
ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّن لَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَإِلَّا سَحَرَهُمْ يَسْتَعْفِرُونَ * وَفِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي
السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * قَوْرَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ }

قوله تعالى: {وَالذَّرِيَّتِ دَرُورًا} يعني الرياح، يقال: ذرت الريح التراب تذروه ذروا، إذا فرقته، قال الزجاج: يقال ذرت فهي ذارية، وأذرت فهي مذبذبة بمعنى واحد.

والذاريات، مجرورة على القسم، المعنى أحلف بالذاريات وهذه الأشياء، والجواب {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَدِيقٍ} قال قوم: المعنى: ورب الذاريات، ورب الجاريات.

قوله تعالى: {وَالْحَمِلَتِ وَقْرًا} يعني السحاب التي تحمل وقرها من الماء.

{وَالجَرِيَّتِ يُسْرًا} يعني السفن تجري ميسرة في الماء جريا سهلا.

{وَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا} يعني الملائكة تقسم الأمور على ما أمر الله به، قال ابن السائب: والمقسمات أربعة: جبريل، وهو صاحب الوحي، والغلظة، وميكائيل، وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل، وهو صاحب الصور واللوح، وعزرائيل وهو قابض الأرواح. وإنما أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

ثم ذكر المقسم عليه فقال: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ} أي: من الثواب والعقاب يوم القيامة {لَصَدِيقٍ} أي لحق.

{وَإِنَّ الدِّينَ} فيه قولان:

أحدهما:

الحساب.

والثاني: الجزاء {لَوَاقِعُ} أي لكائن.

ثم ذكر قسما آخر فقال: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ} وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين، «الحبك» بكسر الحاء والباء جميعا وقرأ عثمان بن عفان، والشعبي، وأبو العالية، وأبو حيوة، «الحبك» بكسر الحاء وإسكان الباء. وقرأ أبي ابن كعب، وابن عباس، وأبو رجا، وابن أبي عبيدة، «الحبك» برفع الحاء وإسكان الباء وقرأ ابن مسعود، وعكرمة «الحبك» بفتح الحاء والباء جميعا وقرأ أبو الدرداء، وأبو الجوزاء، وأبو المتوكّل، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري، «الحبك» بفتح الحاء وكسر الباء. ثم في معنى الحبك أربعة أقوال:

أحدها: ذات الخلق الحسن رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال قتادة.

والثاني: البنيان المتقن قاله مجاهد.

والثالث: ذات الزينة قاله سعيد بن جبير وقال الحسن: حبكها نجومها.

والرابع: ذات الطرائق قاله الضحاك واللغويون. وقال الفراء «الحبك» تكسر لكل شيء كالرمل إذا مرت به الريح الساكنة، والماء القائم إذا مرت به الريح، والشعرة الجعدة تكسرها حبك، وواحد الحبك حبك وحبكة وقال الزجاج: أهل اللغة يقولون الحبك الطرائق الحسنة، والمحبوكة في اللغة ما أجيد عمله، وكل ما تراه من الطرائق في الماء وفي الرمل إذا أصابته الريح فهو حبك وروي عن عبد الله بن عمرو أنه قال هذه هي السماء السابعة.

ثم ذكر جواب القسم الثاني {قَالَ إِنَّكُمْ} يعني أهل مكة {لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ} في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، بعضكم يقول: شاعر، وبعضكم يقول: مجنون، وفي القرآن بعضكم يقول: سحر، وبعضكم يقول: كهانة ورجز، إلى غير ذلك.

{يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أْفَكًا} أي يصرف عن الإيمان به من صرف فحرمه. والهاء في عنه عائدة إلى

القرآن، وقيل بصرف عن هذا القول، أي: من أجله وسببه عن الإيمان من صرف. وقرأ قتادة «من أفك» بفتح الألف والفاء وقرأ عمرو بن دينار «من أفك» بفتح الألف وكسر الفاء.

{قُتِلَ لِحَرْصُونَ} قال الفراء: يعني: لعن الكذابين الذين قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم ساحر وكذاب وشاعر، خرسوا ما لا علم لهم به وفي رواية العوفي عن ابن عباس أنهم الكهنة وقال

ابن الأنباري: والقتل إذ أخبر عن الله به فهو بمعنى اللعنة، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

قوله تعالى { لَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ } أي في عمى وجهالة بأمر الآخرة { سَهُونَ } أي: غافلون واليسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه.

{ يَسْتَأْتُونَ أَيَّامَ يَوْمِ الَّذِينَ } أي يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء؟ تكذيبا منهم واستهزاء. ثم أخبر عن ذلك اليوم فقال: { يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ } قال الزجاج: اليوم منصوب على معنى يقع الجزاء يوم هم على النار. { يُفْتَنُونَ } أي: يحرقون وبعذبون، ومن ذلك يقال للحجارة السود التي كأنها قد أحرقت بالنار الفتين.

قوله تعالى: { ذُوقُوا } المعنى يقال لهم: ذوقوا { فِتْنَتَكُمْ } وفيها قولان: أحدهما: تكذيبكم، قاله ابن عباس.

والثاني: حريقكم، قاله مجاهد. قال أبو عبيدة ها هنا تم الكلام ثم ائتنف، فقال { هَذَا لِذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ } قال المفسرون: يعني الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا استهزاء. ثم ذكر ما وعد الله لأهل الجنة فقال { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } وقد سبق شرح هذا [البقرة/25] [الحجر/45]. قوله تعالى: { ءَأَخْذِينَ } قال الزجاج هو منصوب على الحال فالمعنى: في جنات وعيون في حال أخذ { مَا ءَاتَهُمْ رَبُّهُمْ } قال المفسرون أي: ما أعطاهم الله من الكرامة { إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِمِينَ } في أعمالهم، وفي الآية وجه آخر آخذين ما أتاهم ربهم أي عاملين بما أمرهم به من الفرائض، إنهم كانوا قبل أن تفرض الفرائض عليهم محسنين، أي مطيعين، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية مسلم البطين.

ثم ذكر إحسانهم فقال: { كَانُوا قَلِيلًا مِّن لَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } والهجوع النوم بالليل دون النهار. وفي «ما» قولان.

أحدهما: النفي. ثم في المعنى قولان: أحدهما: كانوا يسهرون قليلا من الليل قال أنس بن مالك وأبو العالية هو ما بين المغرب والعشاء.

والثاني: كانوا ما ينامون قليلا من الليل. واختار قوم الوقف على قوله «قليلا» على معنى كانوا من الناس قليلا، ثم ابتداء فقال من الليل «ما يهجعون» على معنى نفي النوم عنهم البتة، وهذا مذهب الضحاك ومقاتل.

والقول الثاني: أن «ما» بمعنى الذي فاللمعنى كانوا قليلا من الليل الذي يهجعونه، وهذا مذهب الحسن، والأحنف بن قيس، والزهرري. وعلى هذا يحتمل أن تكون «ما» زائدة. قوله تعالى: { وَبِالْأَسْبَاطِ هُمْ يَسْتَعْجِرُونَ } وقد شرحناه في [آل عمران/17]. قوله تعالى: { وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ } أي نصيب وفيه قولان:

أحدهما: أنه ما يصلون به رحما، أو يقرون به ضيفا، أو يحملون به كلا، أو يعينون به محروما وليس بالزكاة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الزكاة قاله قتادة، وابن سيرين.

قوله تعالى: { لِلسَّائِلِ } وهو الطالب. وفي { المحروم } ثمانية أقوال:

أحدها: أنه الذي ليس له سهم في شيء المسلمين، وهو المحارف قاله ابن عباس. وقال إبراهيم هو الذي لا سهم له في الغنيمة.

والثاني: أنه الذي لا ينمى له شيء قاله مجاهد، وكذلك قال عطاء هو المحروم في الرزق والتجارة. والثالث: أنه المسلم الفقير قاله محمد بن علي.

والرابع: أنه المتعفف الذي لا يسأل، شيئا قاله قتادة، والزهرري.

والخامس: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة، وليس له فيها سهم، قاله: الحسن ابن محمد بن الحنفية. والسادس: أنه المصاب ثمرته وزرعه أو نسل ماشيته، قاله ابن زيد.

والسابع: أنه المملوك، حكاه الماوردي.

والثامن: أنه الكلب، روي عن عمر بن عبد العزيز. وكان الشعبي يقول: أعياني أن أعلم ما المحروم. وأظهر الأقوال قول قتادة والزهرري، لأنه قرنه بالسائل، والمتعفف لا يسأل - ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل - ثم يتحفظ بالتعفف من ظهور أثر الفاقة عليه، فيكون محروما من قبل نفسه حين لم يسأل، ومن قبل الناس حين لا يعطونه، وإنما يفطن له متيقظ. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، ولا يصح.

قوله تعالى: { وَ لِمَخْرُومٍ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ } كالجبال والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك {لِلْمُوقِنِينَ} بالله عز وجل الذين يعرفونه بصنعه.

{ وَفِي أَنْفُسِكُمْ آيَاتٍ } إذ كنتم نطفًا، ثم عظامًا، ثم علقًا، ثم مضغًا، إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف، ثم اختلاف الصور والألوان والطبائع، وتقويم الأدوات والسمع والبصر والعقل، وتسهيل سبيل الحدث، إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم. وتم الكلام عند قوله: «وفي أنفسكم»، ثم قال: { أَفَلَا تُبْصِرُونَ } قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.

قوله تعالى: { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ } وقرأ أبي بن كعب، وحמיד، وأبو حصين الأسدي: «أرزاقكم» براء ساكنة وبالف بين الزاي والقاف وقرأ ابن معسود، والضحاك، وأبو نهيك: رازقكم بفتح الراء وكسر الزاي وبالف بينهما. وعن ابن محيصن كهاتين القراءتين. وفيه قولان.

أحدهما: أنه المطر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وليث عن مجاهد، وهو قول الجمهور. والثاني: الجنة، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وفي قوله: { مَا تُوَعَّدُونَ } قولان. أحدهما: أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثاني: الجنة رواه ليث عن مجاهد. قال: أبو عبيدة: في هذه الآية مضمرة مجازة: عند من في السماء رزقكم، وعنده ما توعدون، والعرب تضمّر، قال نابغة ذبيان: كأنك من جمال بني أقيش يقعقع خلف رجله بشن

أراد: كأنك جمل من جمال بني أقيش.

قوله تعالى: { إِنَّهُ لَحَقُّ } قال الزجاج: يعني: ما ذكره من أمر الآيات والرزق وما توعدون وأمر النبي صلى الله عليه وسلم، { مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ } قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «مِثْلَ» برفع اللام وقرأ الباقر بنصب اللام. قال الزجاج: فمن رفع «مِثْلَ» فهي من صفة الحق، والمعنى: إنه لحق مثل نطقكم، ومن نصب فعلى ضربين:

أحدهما: أن يكون في موضع رفع إلا أنه لما أضيف إلى «أن» فتح. والثاني: أن يكون منصوبا على التأكيد، على معنى: إنه لحق حقا مثل نطقكم، وهذا الكلام كما تقول: إنه لحق كما أنك تتكلم.

{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ لِمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفْ وَبَشِّرْهُمْ بِعَلْمٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتْ هَرَأْنَةُ فِي صُتْرَةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }

قوله تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ لِمُكْرَمِينَ } «هل» بمعنى: «قد» في قول ابن عباس ومقاتل فيكون المعنى: قد أتاك فاستمع نقصه عليك، وضيغه: هم الذين جاؤوا بالبشرى وقد ذكرنا عددهم في [هود/70] وذكرنا هناك معنى الضيف.

وفي معنى: «المكرمين» أربعة أقوال:

أحدهما: لأنه أكرمهم بالعجل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

والثاني: بأن خدمهم هو وامراته بأنفسهما قاله السدي.

والثالث: أنهم مكرمون عند الله قاله عبد العزيز بن يحيى.

والرابع: لأنهم أضياف، والأضياف مكرمون، قاله أبو بكر الوراق.

قوله تعالى: { فَقَالُوا سَلَامًا } قد ذكرناه في [هود/70].

قوله تعالى: { قَوْمٌ مُنْكَرُونَ } قال الزجاج: ارتفع على معنى: أنتم قوم منكرون.

وللمفسرين في سبب إنكارهم أربعة أقوال.

أحدها: لأنه لم يعرفهم، قاله ابن عباس.

والثاني: لأنهم سلموا عليه فأنكر سلامهم، في ذلك الزمان وفي تلك الأرض، قاله أبو العالية.

والثالث: لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان.

والرابع: لأنه رأى فيهم صورة البشر وصورة الملائكة.

قوله تعالى: { قَرَأَ إِلَىٰ أَهْلِهِ } قال ابن قتيبة: أي: عدل إليهم في خفية، ولا يكون الرواغ إلى أن تخفي ذهابك ومجيتك.

قوله تعالى: { فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ } وكان مشوباً { فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ } قال الزجاج: والمعنى: فقربه إليهم ليأكلوا منه فلم يأكلوا فقال: ألا تأكلون؟ على النكير، أي: أمركم في ترك الأكل مما أنكره. قوله تعالى: { فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً } قد شرحناه في [هود: 70] وذكرنا معنى «غلام عليم» في [الحجر: 54].

{ فَأَقْبَلَتْ مُرَأْتُهُ } وهي: سارة. قال الفراء وابن قتيبة: لم تقبل من موضع إلى موضع، وإنما هو كقولك: أقبل يشتمني، وأقبل يصيح ويتكلم، أي: أخذ في ذلك، والصره: الصيحة. وقال أبو عبيدة: الصرة: شدة الصوت.

وفيما قالت في صيحتها قولان.

أحدهما: أنها تأوهت، قال قتادة.

والثاني: أنها قالت: يا ويلتا، ذكره الفراء.

قوله تعالى: { قَصَصْتُ وَجْهَهَا } فيه قولان.

أحدهما: لطمت وجهها، قاله ابن عباس.

والثاني: ضربت جنبها تعجبا، قاله مجاهد. ومعنى الصك: ضرب الشيء بالشيء العريض.

{ وَقَالَتْ عَجُوزٌ } قال الفراء: هذا مرفوع بإضمار «أتلد عجوز». وقال الزجاج: المعنى: أنا عجوز عقيم، فكيف ألد؟ وقد ذكرنا معنى { لِعَقِيمٍ } في [هود: 72].

{ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ } أنك ستلدين غلاما؛ والمعنى: إنما نخبرك عن الله عز وجل وهو حكيم عليم يقدر أن يجعل العقيم ولودا، فعلم حينئذ إبراهيم أنهم ملائكة.

{ قَالَ فَمَا حَتْبُكُمْ } مفسر في [الحجر: 57].

قوله تعالى: { حِجَارَةً مِّن طِينٍ } قال ابن عباس: هو الآجر.

قوله تعالى: { مَّسْجُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ } قد شرحناه في [هود: 83].

قوله تعالى: { لِلْمُشْرِكِينَ } قال ابن عباس: للمشركين.

قوله تعالى: { فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا }، أي: من قرى لوط { مِّن لُّمُومِينَ } وذلك قوله تعالى:

{ قَاسِرٌ بِأَهْلِكَ } الآية [هود: 82].

{ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّن لُّمُومِينَ } وهو لوط وابنتاه، وصفهم الله عز وجل بالإيمان والإسلام، لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

{ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً } أي: علامة للخائفين من عذاب الله تدلهم على أن الله أهلهم. وقد شرحنا هذا

في { لِعَنْكَبُوتٍ } وبيننا المكني عنها.

{ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَتَوَلَّىٰ يُرْكِنُهُ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْتُهُ

وَجُنُودَهُ فَبَدَّلْتُهُمْ فِي لَيْمٍ وَهُوَ مُلِيمٌ * وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ

عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ * وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ * فَعَتَوْا عَن أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتُهُمُ

الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * فَمَا سَلِطَعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا

قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ قَرَسْنَاهَا فَنِعْمَ لِمَهْدُونَ * وَمِن كُلِّ

شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ تَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ

إِلَهًا آخَرَ إِنَّ لَكُمْ مِّنْهُ تَذِيرٌ مُّبِينٌ }

قوله تعالى: { وَفِي مُوسَى } أي: وفيه أيضا آية { إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } أي: بحجة

ظاهرة { فَتَوَلَّىٰ } أي: أعرض { بِرُكْنِهِ } قال مجاهد: بأصحابه. وقال أبو عبيدة: «بركنه» و«بجانبه»

سواء إنما هي ناحيته، وقال ساحر: أي وقال لموسى هذا ساحر { أَوْ مَجْنُونٌ } وكان أبو عبيدة يقول

«أو» بمعنى الواو فأما اليم فقد ذكرناه في [الأعراف: 136] ومليم في [الصفافات: 142].

قوله تعالى: { وَفِي عَادٍ } أي: في إهلاكهم آية أيضا { إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ } وهي التي لا

خير فيها ولا بركة، لا تلتج شجرا ولا تحمل مطرا، وإنما هي للإهلاك. وقال سعيد بن المسيب: هي

الجنوب.

{ مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ } أي: من أنفسهم وأوالهم { إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ } أي: كالشيء الهالك

البالي. قال الفراء: الرميم نبات الأرض إذا يبس وديس. وقال الزجاج: الرميم الورق الجاف

المتحطم مثل الهشيم.

{ وَفِي ثَمُودَ } آية أيضا { إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ } فيه قولان:

أحدهما: أنه قيل لهم تمتعوا في الدنيا إلى وقت انقضاء آجالكم تهددا لهم.
والثاني: أن صالحا قال لهم بعد عقر الناقة: تمتعوا ثلاثة أيام؛ فكان الحين وقت فناء آجالهم، {فَعَتُوا
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ} قال مقاتل: عصوا أمره فأخذتهم الصاعقة يعني العذاب وهو الموت من صيحة
جبريل. وقرأ الكسائي وحده «الصَعَقَةَ» بسكون العين من غير ألف، وهي الصوت الذي يكون عن
الصاعقة.

قوله تعالى: {وَهُمْ يَنْظُرُونَ} فيه قولان:

أحدهما: يرون ذلك عيانا. والثاني: وهم ينتظرون العذاب، فاتاهم صيحة يوم السبت.

قوله تعالى: {فَمَا سَبَّتْهُمُ مِنْ قِيَامٍ} فيه قولان:

أحدهما: ما استطاعوا نهوضا من تلك الصرعة.

والثاني: ما أطاقوا ثبوتا لعذاب الله. {وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ} أي: ممتنعين من العذاب.

قوله تعالى: {وَقَوْمٌ نُوْحٌ مِّن قَبْلُ} قرأ أبو عمرو إلا عبد الوارث، وحمزة، والكسائي: بخفض الميم،
وروي عبد الوارث رفع الميم، والباقون بنصبها. قال الزجاج: من خفض القوم فالمعنى: وفي قوم
نوح آية، ومن نصب فهو عطف على معنى قوله «فأخذتهم الصاعقة» فإن معناه أهلكتناهم، فيكون
المعنى: وأهلكنا قوم نوح، والأحسن - والله أعلم - أن يكون محمولا على قوله «فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم» لأن المعنى أغرقناه، وأغرقنا قوم نوح.

{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا} المعنى: وبنينا {السَّمَاءَ * بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} أي: بقوة وكذلك قال ابن عباس،

ومجاهد، وقتادة وسائر المفسرين واللغويين «بأيد» أي: بقوة.

وفي قوله: {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} خمسة أقوال:

أحدها: لموسعون الرزق بالمطر، قاله الحسن. والثاني: لموسعون السماء، قاله ابن زيد. والثالث:

لقادرون، قاله ابن قتيبة. والرابع: لموسعون ما بين السماء والأرض، قاله الزجاج. والخامس: ل ذو

سعة لا يضيق عما يريد، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا قَنِعَمٌ لِّمَهْدُونَ} قال الزجاج: هذا عطف على ما قبله منصوب

بفعل مضمر محذوف يدل عليه قوله: «فرشناها» فالمعنى: فرشنا الأرض فرشناها «فنعم

الماهدون» أي: فنعم الماهدون نحن. قال مقاتل: فرشناها أي بسطناها مسيرة خمسمائة عام وهذا

بعيد. وقد قال قتادة: الأرض عشرون ألف فرسخ والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحِينَ} أي: صنفين ونوعين كالذكر والأنثى، والبر والبحر والليل

والنهار، والحلو والمر، والنور والظلمة، وأشبه ذلك {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} فتعلموا أن خالق الأزواج

واحد.

{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} بالتوبة من ذنوبكم؛ والمعنى: اهربوا مما يوجب العقاب من الكفر والعصيان إلى

ما يوجب الثواب من الطاعة والإيمان.

{كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِن رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

طٰغُونَ * قَتُولٌ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ * وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا خَلَقْتُ لِحِجٍّ وَالْإِنْسَ

إِلَّا لِيُعْبُدُونَ * مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ لَمَتِينٌ *

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ * قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ لِيَذَى

يُوعَدُونَ}

قوله تعالى: {كَذَلِكَ} أي: كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون، كانوا من قبلك يقولون للأنبياء.

قوله تعالى: {أَتَوَاصُوا بِهِ} أي: أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب؟ وهذا استفهام توبيخ. وقال أبو

عبدة: أتواطؤوا عليه فأخذه بعضهم من بعض؟.

قوله تعالى: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ طٰغُونَ} أي: يحملهم الطغيان فيا أعطوا من الدنيا على التكذيب؛

والمشار إليهم أهل مكة.

{قَتُولٌ عَنْهُمْ} فقد بلغتهم {فَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ} بملوم لأنك قد أدت الرسالة. ومذهب أكثر

المفسرين أن هذه الآية منسوخة، ولهم في نسخها قولان:

أحدهما: أنه قوله {وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}.

والثاني: آية السيف. وفي قوله {وَذَكَرَ} قولان.

أحدهما: عطا، قاله مقاتل. والثاني: ذكرهم بأيام الله وعذابه ورحمته، قاله الزجاج.

قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ لِحِجٍّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيُعْبُدُونَ} أثبت الياء في «يعبدون» و«يطعمون» و«لا

يستعجلون» في الحاليين يعقوب. واختلفوا في هذه الآية على أربعة أقوال:

أحدها: إلا لآمرهم أن يعبدوني قاله علي بن أبي طالب، واختاره الزجاج.

والثاني: إلا ليقرؤا بالعبودية طوعا وكرها، قاله ابن عباس؛ وبيان هذا قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله [الزخرف: 87].

والثالث: أنه خاص في حق المؤمنين. قال سعيد بن المسيب: ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني. وقال الضحاك، والفراء، وابن قتيبة: هذا خاص لأهل طاعته، وهذا اختيار القاضي أبي يعلى فإنه قال: معنى هذا الخصوص لا العموم، لأن البله والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس، فكذلك الكفار يخرجون من هذا بدليل قوله: {وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَبَّتِهِمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ} [الأعراف: 179]، فمن خلق للشقاء ولجهنم، لم يخلق للعبادة.

والرابع: إلا ليخضعوا إلي ويتذللوا. ومعنى العبادة في اللغة: الذل والانقياد. وكل الخلق خاضع ذليل لقضاء الله عز وجل لا يملك خروجاً عما قضاه الله عز وجل، هذا مذهب جماعة من أهل المعاني. قوله تعالى: {مَا أَرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ} أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم {وَمَا أَرِيدُ أَنْ} أي: أن يطعموا أحداً من خلقي، لأنني أنا الرزاق. وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله، ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه. وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم: استطعمتك فلم تطعمني» أي: لم تطعم عبدي. فأما {هُوَ الرِّزَّاقُ} فقرأ الضحاك، وابن محيصن: «الرازق» بوزن «العالم» قال الخطابي: هو المتكفل بالرزق القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها. و{لَمَتَيْنِ} الشديد القوة الذي لا تنقطع قوته ولا يلحقه في أفعاله مشقة. وقد روى قتيبة عن الكسائي أنه قرأ: «المتين» بكسر النون. وكذا قرأ أبو رزين، وقتادة، وأبو العالية، والأعمش. قال الزجاج: {ذُو لُقُوءَةٍ لَمَتَيْنِ} أي: ذو الإقتدار الشديد، ومن رفع «المتين» فهو صفة الله عز وجل، ومن خفضه جعله صفة للقوة، لأن تأنيث القوة كتأنيث الموعظة، فهو كقوله: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ} [البقرة: 275]. قوله تعالى: {فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا} يعني مشركي مكة {ذُنُوبًا} أي: نصيباً من العذاب {مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ} الذين أهلكوا، كقوم نوح وعاد وثمود. قال الفراء: الذنوب في كلام العرب: الدلو العظيمة، ولكن العرب تذهب بها إلى النصيب والحظ، قال الشاعر:

لنا ذنوب ولكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب

والذنوب، يذكر ويؤنث. وقال ابن قتيبة، أصل الذنوب: الدلو العظيمة، وكانوا يستقون، فيكون لكل واحد ذنوب، فجعل «الذنوب» مكان «الحظ والنصيب» قوله تعالى: {فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ} أي: بالعذاب إن أخوا إلى يوم القيامة، وهو يومهم الذي يوعدون، ويقال: هو يوم بدر.